

النشاط الثقافي في الوطن العربي

لبنان

واضح من هذه الاحداث ، ثم ان يكون له دور واضح يترجم موقفه الى عمل ما يضعه في موقفه الفروي على احدى جبهات التغيير..

من اجل موقف واضح

● اما الرؤيه تحفيقه الاحداث الاخيرة في بلادنا ، فينبغي ان نقوم : اولاً ، على انظر في السياق الذي جرت فيه كل الاحداث اللبنانيه منذ الاستقلال وحتى اليوم ، وبشكل خاص احداث العنف الدموي خلال السنوات الاخيرة (١٩٦٩-١٩٧٥) ، اي منذ حلفتها الاولى (٢٣ - ٢٤ نيسان ١٩٦٩) حتى الحلقة التي لا تزال تطر دما في مرآة العين الان .. وايضا ، على استخلاص مضمون هذه الرؤيه لا من « حديية » الاحداث ذاتها ، بل من خلال السياق الذي يربط حلقاتها جميعا بعضها ببعض ، ليكشف عن علاقتها - مجتمعة - بمنطلق واحد هو الاساس في وحدة السياق بينها ، اي ليكشف - أخيراً - ان انظر « العتدي » لكل ما وقع ليس هو القضية السبي يتبقي ان نفق عندما لكي نحدد نوع الموقف منها ، ثم نوع السدور الذي عيننا ان نؤديه في سبيل دفع ما يحتمل من امثاله . وانما القضية وجوهها ، هذا ذلك المنطلق نفسه الذي يرجع اليه سياق الاحداث كلها ..

ما كان اسهل تحديد الموقف وتحديد الدور ، وما كان اسهل ان نلتقي جميعاً - نحن المثقفين اللبنانيين - على موقف واحد وفي دور عملي واحد ، لو ان الاحداث بذاتها هي القضية وجوه القضية .. فنحن جميعاً - دون استثناء - قد انقلنا انفعالات عميقة ، دون شك ، بافعل الابداء الجسدية للمواطنين ، لبنانيين وفلسطينيين وسوريين وغيرهم ، وبافعل الارهاب القمعي وتهجير الامن تهجيراً كاملاً عن عاصمة البلاد وسائر المدن .. وهذا الانفعال بيننا كان يمكن ان نعب عنه بلفة واحدة ، نفة الاستنكار والاحتجاج ، او لفة الحزن والتفجع ، وان نستخدم معاً لفة واحدة ايضاً في الدعوة الى « المحبة » و « الاخوة الوطنية » و « تناسلي الاحساد » و « التسامي على ألم الجراح » ، والى « مصالحه » هذا وذلك من فرقاء او زعماء او قادة .. الى اخر ما نسمع ونقرأ هـذـه الالام ، هنا وهناك ، من امثال هذه الكلمات والشعارات التي لا تقول شيئاً ولا تحدد موقفاً ولا تلمس من المحنة حتى طرف ظفرها .. اننا - نحن المثقفين ولا سيما حملة الافلام منا - قد نكون افسد على صوغ مثل هذه اللفة بما هو اكثر وهجا وبريقا .. ولكن ، هل هذا كله يحسم الامر ، ويمحو المشكله ، ويدفع الخطر المحتمل ؟.. هل نكون بذلك قد رأينا الرؤيه الواضحة ، وحددنا الموقف الصحيح ، وادينا الدور الحقيقي ؟ ..

ما جرى ايس نزوة عابرة !

● نعتقد ان المسألة لا تحتل مثل هذا العبث الساذج ، البعيد - او الذي ينبغي ان يكون بعيداً - عن طبيعة المثقفين ، من حيث كونهم مثقفين اولاً ، ومن حيث كونهم - ثانياً - منتسبين عضويًا وكيانياً الى شعبهم ومجتمعهم ، اي كونهم مرتبطين ، موضوعياً بالصلافات الاجتماعية نفسها التي يتفاعل هذا الشعب ، وبها ذاتها يتصارع .. من هنا تنوفر الضرورة لانفعالنا ، كقوة اجتماعية ذات خصوصية معينة ، لمعالجة الواقع الذي يعاناه شعبنا ، معالجة اكثر جدية واعمق رؤية وابعد عن التبسيط او الطوباوية ..

على هذا نعود الى القول بان موجة احداث العنف الاخيرة ليست موجة عابرة دفعتها ظروف او نزوات عابرة .. كما ان التشابه الملحوظ بينها وبين الاحداث الجارية منذ بضع سنوات حتى الان ، ليس

وثيقة الهيئات الثقافية

اصدرت الهيئات والمجالس والاندية الثقافية حول الوضع اللبناني الراهن التويغة الهامة التالية التي اعدتها اتحاد الكتاب اللبنانيين :

مقدمة

● في ظل احداث العنف الدموي التي زححت بها حياة اللبنانيين في الاشهر الاخيرة والتي ما تزال نسحب بانارها الرابعه على وجه الواقع الراهن .

ونحت نفل المسؤولية الوطنية والادبية التي يتحملها المنفردون اللبنانيون في هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ وطنهم .

تلاقت الهيئات والمجالس والاندية الثقافية في لبنان بدعوة من اتحاد الكتاب اللبنانيين في مقر النادي الثقافي العربي ببيروت يوم الخميس الواقع في ١٩ حزيران ١٩٧٥ ، واصدرت هذه الوثيقة تعبيراً عن صوت المثقفين اللبنانيين وجسيدا للترامهم :

● موجة رهية عارمة من احداث العنف الدموي اعرضت حياة اللبنانيين في الاشهر الاخيرة ، فخرسوا مئات الضحايا - وفيهم الكثير من الابرياء والشهداء - وخرسوا قدرا فادحا من الممتلكات والاموال . وكانت اشباه هذه الاحداث قد جرت في سياق يشبهه سياقها من وجوه ، في فترات عدة خلال سنوات قريبة سبقت . ولا شيء حتى الان يدل ان الموجة قد انصرت دون رجعة ، بل اظهرت الاحداث الاخيرة نفسها ان اعداد المليشيات الخاصة ، واعداد الاسلحة المتطورة نها يجريان بتكثيف وبصعيد . وهذا ينبيء ان الموجة امتدادات لاحقة مديرة ، في كل يوم وفي كل لحظة ، قد تكون اخطارها اشد من كل خطر سابق تعرض له مصير لبنان واللبنانيين بعامه .

ازاء موجة الاحداث هذه ، وازاء احتمال احداث لاحقة اخطر منها ، ماذا علينا - نحن المثقفين اللبنانيين - ان نؤدي من مهمته ، للانسجام في دفع الاخطار عن شعبنا ومصير وطننا ، او في تغيير مسار الامور الجارية عن المنزلق المخيف الذي يتجه اليه ؟ ..

اننا لا نستطيع ان نحدد دورنا ، كمثقفين ، قبل ان نحدد موقفاً معيناً من هذه الاحداث يمكن ان نلتقي عليه جميعاً او يلقي عليه الكثرة منا او - بالاقبل - نفر قادرون ان يحولوا موقفهم المبني الى فعل يسهم في دفع الاخطار او في تغيير المسار .

من الافضل - بالطبع - ان نصل الى الموقف الذي يجمع كل قوى المثقفين في لبنان على فعل مشترك . فذلك يعطي هذا الفعل زخمه وسعة رفة تحركه ، ثم فترته على التأثير .. ولكن ، اذا كان الموقف الاجماعي متعفراً ، بل اذا كان متعفراً ايضاً حتى جمع كثرة المثقفين اللبنانيين على موقف واحد معين ، فان ذلك لا يعني الاخرين من تحديد موقفهم وتحديد الدور الذي يؤدونه على اساس هذا الموقف .. ليس ذلك مسألة حق او مسألة واجب ، وانما هـذـه مسألة ضرورة كيانية بالدرجة الاولى .. ان ضرورة كوننا جزءاً من شعبنا ، وكوننا الفئة المؤهلة بالفعل لاستيعاب مطامحه الوطنية والاجتماعية والديمقراطية ووعيا معرفيا ووطنيا واجتماعيا وحضاريا في وقت مما - نقول ان هذه الضرورة نفسها هي المحددة في دفع كل منا ، منفرداً ومجتمعاً مع غيره ، الى ان تكون له رؤية واضحة لحقيقة الاحداث الخطيرة في بلاده، وان يكون له على اساس هذه الرؤية موقف

الفلسطينية ، وبالتحديد : من الثورة الفلسطينية .. فان بعض اطراف النظام هذا ، وهو الطرف الفرق في موقفه الانعزالي ، اي في عدائه لقضايا التحرر العربية - وقضية فلسطين في مقدمتها - بغسي دائما (هذا البعض) مصدر تحريض على الوجود الفلسطيني الثوري في لبنان ، منذ انبعث شطب فلسطيني ممتسقا سلاح الثورة التحررية ..

ان هذا الموقف التحريضي كانت له مضاعفاته على الصعيد الوطني اللبناني .. ذلك انه ادى اولا الى تخلف النظام في لبنان * وعجزه عن حماية الوطن من العدوان الصهيوني المستمر على حدوده وعلى سكان هذه الحدود اللبنانيين وعلى السيادة الوطنية اللبنانية فسي البر والبحر والجو .. وادى ثانيا الى تناقض آخر بين النظام والحركة الوطنية اللبنانية ، لان هذه الحركة - بحكم منطلقاتها المبدئية التحررية وبحكم التزاماتها القومية - كان من البدهي ان تلتزم قضية الدفاع عن الثورة الفلسطينية ككل وعن الوجود الفلسطيني الثوري في لبنان بالخصوص ، ثم كان من البدهي - كذلك - ان تتخذ نضالات الحركة الوطنية والتعبية الى جانب وجهها الاجتماعي وجها نضاليا وطنيا يضع قضية الثورة الفلسطينية بخاصة وقضايا التحرر العربي بعامة في اساس اهداف هذه النضالات .. من هنا اصبح موقف النظام اللبناني .. ذلك انه ادى اولا الى تخلف النظام في لبنان . وعجزه الفلق من تعاطم النضالات الاجتماعية واتساع حدودها شعبيا ومطلبيا ، وعامل القلق من تعميق ارتباط هذه النضالات ، اكثر فائتر ، بوجهها الوطني الذي يعني قضيتين متداخلتين : قضية حماية اوطن من العدوان الصهيوني ، وقضية حماية الوجود الفلسطيني الثوري على ارض لبنان من عدوان انقوى الاكثر تخلفا بين مساوى النظام ، ولهذا كانت الاكثر عجزا عن فهم طبيعة العلاقة الكيانية بين ما يسمى « بالوضع الخاص » للبنان وبين التزاماته العربية ومسؤولياته المفرة موضوعيا ووثائيقا وحقوقيا تجاه الحركة العربية المشتركة .. ان مسؤوليات لبنان هذه تقوم ، اساسا ، على كونه جزءا عضويا من الوطن العربي بحكم مجموعة من القوميات الموضوعية . وقضية فلسطين بما انها قضية العرب بعامة ، ترتبط بها كل القضايا العربية الاساسية في الوقت الحاضر ، فان الاستنتاج البدهسي من ذلك ان لا بد للبنان ان يتحمل فسطه من المسؤولية العربية المشتركة عن قضية فلسطين . هذا فضلا عن كون لبنان مستهدفا بصورة خاصة لمطامع التوسع الصهيوني لاغراض استراتيجية ، عسكرية واقتصادية تشمل مصادر المياه في جنوبه . ففرضات الالتزام اللبناني بالحركة العربية المشتركة ، تقتزن بضرورة هذا الالتزام وطنيا كذلك .

ان القوى نفسها الاكثر تخلفا بين قوى النظام القائم في لبنان ، تعاني الى ذلك عجزا اخر يتداخل مع ذلك .. هو العجز عن فهم روح العصر ، اي فهم الضرورة التاريخية - الحضارية التي تفرضها روح العصر ، ضرورة الاستجابة لدواعي التغيير الجارفة ، تقييس مرئزات هذا النظام : الاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والثقافية والتربوية ، وتطوير مؤسساته التمهيلية والتشريعية والديمقراطية .. مع ان هذه المرئزات والمؤسسات قد تجاوزها التاريخ حتى في البلدان المستعمدة منها اصلا بشكل مشوه ، بل نجاوزتها حتى التطورات الجارية بسرعة في داخل لبنان نفسه ..

وهنا نكاد نلامس جوهر القضية .. فان هذه القوى النسبية تحمل كل اوزار تخلف النظام ، قد بلغ بها العجز عن فهم ريساح التغيير ، فضلا عن الاستجابة لها ، مبلغا اوقع النظام نفسه في أزمة هي ذروة ازماته المستعصية .. نضني بها أزمة الديمقراطية .. ان التطورات الجارية في لبنان ، كما في غيره من بلدان العالم ، تشمل - في ما تشمل - قضية الحريات العامة والحريات الديمقراطية .. هذا الى ان للديمقراطية في اذهان اللبنانيين مكانا يساوي مكانا اغز ما يحرضون عليه من تراث وقيم .. وقد جاءت التطورات النسبية حدثت بلبنان في السنوات الاخيرة على صعيد الممارسات الديمقراطية والاجتماعية والسياسية والثقافية ، تدعم في اذهان اللبنانيين تلك

تشابها من نوع المصادفات .. بل ان ابسط النظر الى ما وراء هذه الاحداث يكتشف ان التشابه بينها يرجع الى رابط جوهري يرددها جميعا الى بؤرة واحدة تكمن فيها عوامل التفجير بهذا الشكل او ذاك في هذه السانحة او تلك .. اما التشابه الذي نضني فيتجلى في مواجهة المشكلات الوطنية والاجتماعية ، منذ تلك السنوات ، باسلوب القمع المسلح ، بدل الاسلوب الديمقراطي ، لدى كل بحرك جماهيري من الفئات الوطنية والشعبية ، التي تعاني اثار هذه المشكلات معاناة قاسية ، للمطالبة بالحلول الابية لها او بالتخفيف من اعيائها .. وينجلى ايضا في ان اسلوب القمع المسلح هذا لم يكن ، مرة ، يبالي ان يفتك بحياة المواطنين دون حساب ، وان يشوه اجساد بعض ويعطل قوى اخرين ويصيب عائلات بالكوارث .. هذا الاسلوب القمعي هو الممارسة البارزة التي تنظم كل احداث السنوات الاخيرة ، سوى فارق واحد تفرد به احداث الابام الرهيبية التي لا تزال تروخ بها حتى الساعة .. والفارق هذا ، هو ان القمع المسلح ينتقل هذه المرة من ايدي السلطات الرسمية الى ايدي الميليشيات الالهية .. هذه الميليشيات التي هي بذاتها ، علامة تجديف واستهزاء بالديمقراطية وظاهرة غريبة شاذة في بلد له طابعه الديمقراطي مهما اصاب هذا الطابع من تشويه .. هذه الميليشيات المدربة عسكريا بعناية بالغة ، والمجهزة باحدث الاسلحة المتطورة واشدها فتكا بالبشر وال عمران والمرافق الاقتصادية .. ان هذا الفارق الجديد بين الاحداث الاخيرة والاحداث السابقة ، لا يغير شيئا من طبيعة التشابه بينها جميعا ، ولا من طبيعة السياق الواحد الذي يرددها جميعا الى بؤرة واحدة ، اي الى القضية التي منها يطلق هذا التفجير القمعي المتسلسل .. بل ان هذا الفارق يؤكد كلتا الطبيعتين ، لانه ليس سوى مشكل تصعيدي للتفجير ذاته من تلك البؤرة ذاتها .

ازمة وطنية ، اجتماعية ، ديمقراطية

ما هي بؤرة التفجير هذه ؟ ..

اي ما جوهر القضية التي هي منطلق هذا التفجير ؟ ..

● اذا نحن نظرنا الى هذه الاحداث في « تاريخنا » ، اي اذا ارجعنا الاسلوب القمعي المسلح هذا الى مبدأ ممارسته عام ١٩٦٩ (٢٢ - ٢٤ نيسان) ، استغننا ان نمسك بطرف الخيط حتى نصل الى جوهر القضية هذه .. ففي ذلك العام كانت ظواهر التطور في الحركة الوطنية اللبنانية قد اخذت تتبين وتتماسك شيئا فشيئا ، واخذت هذه الحركة تمارس دورها وتأثيرها - بشكل ما - في التصدي للمشكلات الوطنية والاجتماعية ووضع مشاريع الحلول لها ونقد الاساليب البالية المتخلفة ، وطنيا واجتماعيا وحضاريا ، التي يحكم سير النظام السائد في لبنان ، والتي تعرقل فعل الضرورة التاريخية لتطور هذا النظام ذاته ، بالرغم من انه بلغ مبلغ العجز المطلق عن حل ازماته ، وبالرغم من ان ازماته هذه اصبحت مصدر الضرر حتى لذويه والمتنفرين به ، وان كانوا يدارون هذا الضرر بفرض الكثير من اعباته على فئات الشعب الكادحة ، ومنها الكثرة الغالبة من فئة المثقفين . غير ان مداراة الضرر بهذه الطريقة اولدت لقوى النظام ازمة من نوع اشد ضررا عليه وعليهم ، هي أزمة الناقص الاجتماعي الفاحش ، الذي ادى بدوره الى انفاد جلوة الصراع الاجتماعي بمقاييس لم تكن متوقعة من قبل ..

ان يصاعد ازمات النظام على هذا النحو ، كان عاملا مساعدا - بالطبع - على ان يجد الحركات الوطنية اللبنانية ، بمخاضها اجنحتها ، مجالا فسيحا لتطوير ممارساتها ولتكتيف وجودها ولصعيد قدرتها على ملامسة وعي الجماهير الشعبية لقضيتها ومشاعر النعمة لديها على السياسات العاجزة عن حل مشكلاتها الاجتماعية ، ولا سيما المشكلة المعاشية الضاربة ..

يضاف الى ذلك ان تخلف اساليب النظام السائد في لبنان وتصاعد ازماته ، بسبب من هذا التخلف ، رافعهما ، بل لازمه ملازمة حتمية ، مسألة ذات وجه وطني تتعلق بالموقف من القضية

المسكنة الراسخة للديمقراطية ، فتزديدهم حرصا على ما اكتسبوه من اشكالها النسبية ، وتزديدهم شغفا في ترسيخها وتطويرها وتعميق مدلولاتها الى ابعاد جديدة ، وازالة الشوّهات التي دمفتها بالمعجز عن الملامة مع هذه التطورات الحادثة على صعيد الحركة الوطنية والشعبية .. وهذا الواقع - بالضيظ - هو مصدر ما سميناه ازممة الديمقراطية للنظام اللبناني القائم .. ذلك ان تلك القوى الاكثر تخلفا بين قوى النظام ، ثم يقتصر امرها على المعجز عن فهم رياح التغيير ، بل تجاوزت ذلك الى استشعار الرعب مما حدث في لبنان من تغيرات وتطورات في السنوات الاخيرة ، ولا سيما ما برز منها في مجال الممارسات الديمقراطية : الاجتماعية والسياسية والنقابية .

مجاورة وقف عجلة التاريخ

لماذا الرعب ؟ ..

● ان خلف تلك القوى لا يعني انها تجهل سبيل منطق المتغيرات الحادثة في لبنان وهي العالم ، بل هي تعرف بوضوح ، ونسرى بوضوح ، ان هذا المنطق يسير في اتجاه الطرف النقيض لاتجاه منطقها المعادي للتطور والتقدم ، والتشبث بالبقاء على جموده وانزواله عن منطق الضرورة التاريخية .. هي تعرف بوضوح وترى بوضوح ان المثيرات اللبنانية اذا بعيت في مسيرتها على خطها الديمقراطي الذي شقته لنفسها ، فان هذه المسيرة ستبلغ - عاجلا ام آجلا - مرحلة تتسع عندها شقة التناقض بين مستوى التطور الديمقراطي وأوعي الاجتماعي والسياسي والفكري وبين الموقف الجامد المنعزل الذي تسمر به هذه القوى المتخلفة ابواب مؤسساتها البالية دون مجازي التغيير والتطوير .. وعند ذاك لا تملك ان تمنع عن هذه المؤسسات حثية الانهيار النهائي ..

من هنا حدثت هذه القوى المتخلفة كل الحقد على الديمقراطية ، حتى على الاشكال الشوهة للديمقراطية .. ومن هنا حاولت هذه القوى ذاتها ان تقطع الطريق منذ الان على منطق المسيرة الديمقراطية في لبنان ، كل اشكال هذا المنطق ، ما دامت لا تستطيع الخروج - موضوعيا وذائيا - على عجزها التاريخي عن مجاراته ..

● ان احداث القمع الدموي التي بدأت خلقتها الاولى يوم ٢٢ نيسان ١٩٦٩ ، وكانت حصيلةها الاولى بومذاك ثلاثين قتيلًا وعشرات من الجرحى ، ثم تابعت حلقاتها الاخرى ، وكان منها ردع مطالب مزارعي التبغ في الجنوب ومطالب عمال غندور في الشياح بالرصاص ، ثم اخذت تتصاعد - شكلا ومضمونا - منذ احداث ايار ١٩٧٢ المذهلة ، فاحداث صيدا القريبة المهذ بوجه تظاهرة صغيرة لصيادي السمك البسطاء لم يكن شيء فيها يستدعي ذلك الاستفزاز الدموي الذي يودي بحياة مناضل وطني وحياة الكثير من المواطنين المدنيين وغير المدنيين .. ثم جاءت الحلقة الجديدة البادئة بـيوم « عين الرمانة » لتصعد بالقمع المسلح الى مستوى اليهيشيات الخاصة التابعة مباشرة لبعض قوى التخلف تلك نفسها ..

نقول ان هذه الاحداث كلها ، مترابطة ، تجيب عن السؤال السابق : كيف اختارت هذه القوى المتخلفة شكل محاولتها قطع الطريق على منطق الديمقراطية ؟ .. هذه الاحداث تجيب بان قوى التخلف تلك لم تجسد سبيلا الى « فاع » جنود الديمقراطية في لبنان غير سبيل المفامرة .. وكان الشكل المفضل عندها للمفامرة ، حتى الاحداث الاخيرة ، هو اسلوب القمع الدموي المدموم من المؤسسات الديمقراطية الشكلية التقليدية .. وقد اثبتت تجربه هذا الاسلوب ، رغم كل تصميدهاته المشوهة ، انه اعجز من ان يصرع الديمقراطية في لبنان ، وان صرع مئات المواطنين في حومة الدفاع عنها .. من هنا رأينا اتجاه هذه القوى يميل الى شكل جديد للمفامرة ، اي النسي اطلاق اسلوب القمع الدموي حتى من قيود المؤسسات الديمقراطية التقليدية وتشرعاتها غير الديمقراطية .. اي الى الشكل الذي كانت تطلق عليه ، حتى اسابيع قليلة ، اسم « الحكم القوي » تضليلا

عن هويته الصريحة ، ثم اضطرت الى كشف القناع عن هويته هذه - اخيرا - فظهر انه « الحكم العسكري » بلحمه ودمه .. غير انه ، هو ايضا ، ووجه فورا - لساعته الاولى - بالحقيقة الشعبية الصريحة ، فاكنتف - هو ايضا - انه اعجز من ان يهرب الديمقراطية ، لانها في لبنان هي الاقوى .. وانما هي الاقوى لانها هي الارسيخ جنورا في نربة لبنان اولا ، ولانها - ثانيا - لم تلتق وجسودها ونموها وتطورها في لبنان منة ولا سماحا من احد ، وانما هي وجدت ونمت وتطورت بفضل كفاح شعب لبنان جيلا تلو جيل . ثم هي الاقوى - ثالثا - لان منطقها المتطور في لبنان هو منطق العصر، وحضارة العصر ، اي منطق التطور والتقدم ، لا منطق الرجعة والتخلف ..

المفامرة الرجعية تستنجد بالطائفية !

● ذلك هو جوهر القضية .. اما الاحداث الدموية ، ما سبق منها وما استنجد وما ربما سيلحق ، فانما هي ظاهرات لهذا الجوهر ، ليس غير ..

لكن ، بقي امر ذو خطر بالغ ، ولا ينكشف عن هذا الامر .. نعني ما يتخذ الصراع الاجتماعي في لبنان من اشكال معينة ، وفي رأسها : اولا ، الشكل الطائفي . وثانيا الشكل المسمى « بالازمة اللبنانية - الفلسطينية » . كل ذلك من شأنه اخفاء الجوهر الاجتماعي لهذا الصراع .

اذا نحن استقرنا الاحداث الدموية كلها ، حدنا حدنا ، واستقرنا منطلقات التحرك الشعبي الذي قمع بالرصاص في هذه الاحداث ، واحدا واحدا ، فهل نجد منطلقا طائفا واحدا بين هذه المنطلقات ؟ ..

هل كان تحرك ٢٢ - ٢٤ نيسان ١٩٦٩ بمنطق طائفي ؟ .. وهل كونه دفاعا عن المقاومة الفلسطينية يعني انه طائفي ، اي هل الثورة الفلسطينية ثورة طائفية ليكون الدفاع عنها طائفا ؟ .. وهل اللبنانيون الذين خرجوا بذلك التحرك كانوا ذوي انتماء طائفي واحد ، ام كانوا - في الواقع حقا - من مختلف طوائف لبنان المدنية ؟ ..

هل كانت مطالب مزارعي التبغ في الجنوب ومطالب عمال غندور في الشياح ، مطالب طائفية ، وفي هؤلاء واولئك عمال ومزارعون من كل طائفة ومنطقة ؟ ..

هل تظاهر صيادو السمك في صيدا لمطالب طائفية ، وهل كان معروف سعد يناضل لمطلب طائفي او قضية طائفية حين استهدفته تلك الرصاص القاصدة القاتلة وهو يتقدم تظاهرة الصيادين الكاحين؟ .. والمجموعة البشرية التي حصدها الرصاص جملة فسي مجزرة « عين الرمانة » ، وهي عائلة من احتفال وطني .. هل كان حضورها ذلك الاحتفال يتحمل وزرا طائفا ، او ينساق في مساق طائفي ما ، كي يتاح لزعام ان يزعم انها قتلت قتلا طائفا ؟ ..

هذه الاسئلة كلها وامثاله ليست تحتاج الى اجابة ، لانها هي الاجابة نفسها .. فنحن لا نستبين وراء حادث واحد من حوادث القمع الدموي قصدا طائفا ولا سببا طائفا يدعو الى هذا القصد .. فليس وراءها ان غير الموقف الاجتماعي والسياسي متعنا بالطائفية ..

بل ، قد نكون هناك ما يصلح « مادة » لقناع من اقمصة الطائفية .. هناك ذلك الواقع التاريخي المعروف الذي يمكن ان نسميه بتسميته الحقيقية ، هو تفاوت التطور بين هذه المنطقة وتلك من المناطق اللبنانية .. انه التفاوت الذي يرحم الى اسباب تاريخية موضوعية ، وهو الذي اتفق - تاريخيا وموضوعيا كذلك - ان حكم على مناطق معينة ، كثرة سكانها من طائفة معينة ، ان تكون اكثر واوسع تطورا من مناطق اخرى ، كثرة سكانها من طائفة معينة غيرها .. فهل هذا الواقع التاريخي الموضوعي يؤدي الى ان نرى في كل سعي وكفاح للثقات الشعبية في المناطق المحرومة التطور كي تتسبح عن نفسها بؤس الحرمان ، انهما سعي وكفاح مسوقان بدافع طائفي لاهداف طائفية ؟ ..

موقعها في جبهة الصراع الاجتماعي اللبناني .. هي ترى خطر الوجود الثوري الفلسطيني بلبنان من خلال الحركة الوطنية والديمقراطية والتقدمية اللبنانية ، ثم هي ترى خطر هذه الحركة من خلال الوجود الثوري الفلسطيني بلبنان .. فالأزمة الحقيقية إذن ليست أزمة لبنانية - فلسطينية ، وإنما هي أزمة لبنانية - لبنانية . وقد اشرفنا في كلام سابق من هذه الوثيقة الى عجز النظام اللبناني عن حماية الوطن من العدوان الصهيوني على حدوده وسكان هذه الحدود وعلى السيادة الوطنية في البر والبحر والجو .. وقد دأبت نلك القوى الانفصالية في تبرير هذا العجز بتحميل الوجود الثوري الفلسطيني اوزار ذلك العدوان ، في حين ترتفع دائما ابدي جماهير الشعب اللبناني وقواها الوطنية والتقدمية والديمقراطية بادانة هذا العجز وكونه استهانة بالسيادة الوطنية لا يمكن تبريرها بتوجيه تهمة خرق السيادة الوطنية الى غير مصدرها الحقيقي .

ان توجيه أحداث القمع الدموي نحو الطائفية حيننا وحيننا نحو « الازمة اللبنانية - الفلسطينية » ، وتصعيد هذه الأحداث الى مستوى الميليشيات العسكرية الاهلية، او الى مستوى « الحكم العسكري » هو توجيه يفضح عوامله الحقيقية ليضع الوجود كلها ، امام اعين اللبنانيين ، في مواجهة صريحة مع جوهر القضية .

ان جوهر القضية وراء كل الأحداث القمعية ، هو القضية الوطنية - الاجتماعية التي تشكل خلفية الازمة الديمقراطية التي هي الان ذروة ازمت القوى المتخلفة بين قوى النظام القائم في لبنان .

في جبهة الدفاع عن الديمقراطية

● اننا نحن المثقفين اللبنانيين ، من وظيفيين وديمقراطيين وتقدميين ، لا يمكن ان يكون موقفنا الا في جبهة الدفاع عن الديمقراطية ، ولا يمكن الا أن يكون رفضا مطلقا لكل اساليب القمع دمويا وغير دموي ، رفضا مطلقا لكل اشكال الحكم الديكتاتوري ، عسكريا ام مدنيا . ان مصير الفكر والثقافة في بلادنا منطلق بصير الديمقراطية ، اي بالحفاظ على مكتسبات كفاحنا المنصهر في كفاح شعبنا لترسيخ جذورها ، وبالزهد من هذا الكفاح في سبيل تطويرها بروح عصرنا الحضاري ، لتصبح ديمقراطية اجتماعية وسياسية وثقافية وتعليمية شاملة .

وان المثقفين اللبنانيين يعتبرون ان الحياة اللبنانية المرجحاة تنهض ، مستقبلا ، على مصير المعركة العربية المشتركة ، وان النضال الوطني والاجتماعي في هذا الاتجاه هو ضمان الديمقراطية وطريق تحقيق التقدم والرفاهية .

كما انهم يعتبرون ان الحلم الاعزالي في لبنان قد سقط نهائيا ومعه سقطت اوامير العلاقات الخاصة بدول القرب الاستعمارية . ومن هنا يرى المثقفون اللبنانيون عمق الصلات بين الفكر الرجعي والثقافة الاعزالية وبين مؤسسات الثقافة الاجنبية المعادية لثقافتنا الوطنية وتطلعا للتقدمي ، لذلك فهم يعتبرون ان للمعركة ، على الصعيد الثقافي ، دورا خطيرا ليس على الصعيد اللبناني فحسب بل على الصعيد العربي عامة ، الامر الذي يجعل الحركة الثقافية اللبنانية مسؤولة خاصة في فضح الفكر الرجعي والقضاء عليه .

في سبيل حل ديمقراطي للازمة الراهنة

● نأسيسنا على هذا التحليل للواقع اللبناني الراهن ، على مختلف اصعدته وبعلاقاته القسوية بالواقع العربي في المرحلة التاريخية الجارية حيث تلعب الامبريالية الاميركية دورا خطيرا بواسطة الرجعية العربية وقوى الانهزام لمصلحة دولة الاغتصاب الصهيوني ومصالح هذه القوى بالذات .

وفي ضوء الحقائق التي تضمنتها هذه الوثيقة ترى الهيئات والمجالس والاندبة الثقافية المجتمعة بدعوة من اتحاد الكتاب اللبنانيين في النادي الثقافي العربي بتاريخ ١٩ - ٦ - ١٩٧٥ ، ان تحقيق الاهداف الالية هو السبيل الافضل ، مرحليا ، لتحقيق

مثل هذه الذريعة يحمل في ذاته وببداهة منطقته ، مضموننا اجتماعيا ليس الشكل الطائفي الذي يخلع عليه سوى فتاع لستمر هنا المضمون .. ذلك ان التطور التاريخي المتقدم في بعض المناطق دون بعض ، انها تحظى وتنعم بمعاملة فئة واحدة معينة دون الفئات الكادحة في هذه المناطق نفسها .

وهذه الفئة حين تستخدم هذا الواقع التاريخي بشكله الطائفي لاختفاء الجوهر الحقيقي وراء افتعال الاحداث الدموية انما تفعل ذلك حفاظا على مغانمها ، وحرصا منها على ان لا تسري اصوات المحرومين والكادحين في المناطق المتخلفة تاريخيا ، الى وعي جماهير المحرومين والكادحين في سائر المناطق اللبنانية ، ولا سيما المناطق التي تنعم فيها هذه الفئة بامتيازات ذلك التطور التاريخي ، مستانسرة بالمغانم وبمواقع القيادة السياسية والفكرية والايديولوجية .

ذلك لا يعني ان الشكل الطائفي للصراع الاجتماعي اللبناني يقتصر على جهة طائفية واحدة في لبنان . فقد اثبتت الاحداث الدموية ان القوى المنتمة الى اهل النظام اجتماعيا وسياسيا ضالعة كلها في استخدام الشكل الطائفي ، مهما كانت انتماءاتها الدينية . فكم مرة ، خلال هذه الاحداث ، حاول بعض وجوه هذه القوى ذاتها ، في بعض احياء المنطقة الغربية من العاصمة وضواحيها ان يحرفوا المعركة الدائرة عن جوهر قضيتها ، اذ أقاموا بعض التاريس ، ليشيعوا شائعة القتل والخطف والتعذيب على اساس « الهوية » الطائفية المقابلة ، وليثيروا بذلك نائرة الاقتتال الطائفي ، فيطهسوا طابع المعركة وجوهرها ، اي ليفيب عن وعي المواطنين ، في هذه الجهة وتلك ، ان المعركة انما تدور بين طرفين : طرف بدأ المعركة عدوانا على الديمقراطية وعلى مسيرة التطور والتقدم في لبنان .. وطرف اخر اضطره هذا العدوان الى خوض المعركة دفاعا عن الديمقراطية وعن مسيرة التطور والتقدم .. ولسكن هذا الطرف الاخر احبط ، اكثر من مرة ، تلك المحاولات ، ومزق القناع عن تلك الوجوه الاخرى في هذا الجانب ، كما يمزق كل الاقنعة عن الوجوه الاخرى في الجانب الاخر ، وهي جميعا - في واقع الامر - تؤلف جانبا واحدا ، هو جانب الحاقدين على الديمقراطية في لبنان ، خشية ان تخرجهم الديمقراطية من موقع العزلة عن رياح التطور والتقدم .

واجهة مزيفة اخرى !

● اما الشكل الثاني للصراع فهو ما يدعونه بحرب « الغرياء » أي الثائرين الفلسطينيين بالتحديد ، فهذا ، ايضا مثل ذلك ، تفضحه طبيعة الاحداث نفسها ، أي ما ينكشف كل مرة من ان الطرفين الفعليين في حركة هذه الاحداث كلها ، ليس هما : طرفا لبنانيا واخر فلسطينيا ، بل هما دائما طرفان لبنانيان : احدهما - القوى الانفصالية الاثر تخلفا بين قوى النظام اللبناني ، والثاني - قوى الحركة الوطنية والديمقراطية والتقدمية في لبنان .. ان التنساعض الرئيس في هذا المجال بين الطرفين يقوم على اساس التالي :

- القوى الانفصالية تلك ، ترى - بحق - عمق الترابط بين الحركة الوطنية والديمقراطية والتقدمية اللبنانية وبين الحركة الثورية الفلسطينية ، وهو - بالفعل ، ترابط عضوي عميق يستمد حقيقته من اعتبارات فومية وتاريخية ووطنية تحررية ، وهذه الاعتبارات نفسها من شأنها ان تكون ملزمة لبنان - الدولة ، ولبنان - الشعب معا بالوقوف الى جانب الشعب العربي الفلسطيني في المعركة التحررية التي يقف الى جانبه فيها اليوم معظم الرأي العام العالمي والدولي ، وقد تتوج الموقف الدولي بما التزمته اخيرا ارفع مؤسسة دولية في عالمنا الحاضر (الامم المتحدة) .. غير ان تلك القوى الانفصالية - اذ هي تنطلق من موقف معاد اصلا لقضايا التحرر الوطني العربية والعالمية ، ومن موقف اجتماعي ، داخل الصراع الاجتماعي اللبناني ، يعادي قضية التطور والتقدم - اذ هي تنطلق من ذلك ، ترى في الترابط العضوي العميق بين الحركة الوطنية والديمقراطية والتقدمية اللبنانية ، وبين حركة الثورة الفلسطينية ، خطرا على

مطالب الجماهير اللبنانية بمن فيهم من جماهير المثقفين :
اولا - تحقيق الديمقراطية في مختلف وجوهها وعلى تنوع
اصدها ولا سيما في المؤسسات التمثيلية وعلى صعيد حريته
الراي والتعبير .

ثانيا - العمل على اقرار سياسة دفاع وطني على ان نهيها لها
الاداة المؤهلة نوعا وكما وترصد لحماية الارض والانسان والدفاع عن
السيادة وتنفيذا للالتزام العربي بالقضية الفلسطينية .

ثالثا - معالجة الوضع الاجتماعي - الاقتصادي معالجة بتجاوب
مع المطالب الشعبية التاريخية فسي مختلف حقول الحياة
الاجتماعية .

رابعا - النضال من اجل علمنة الدولة وازالة كل ما له علاقة
بالاستغلال الطائفي بدءا من اعادة النظر ببرنامج التعليم في مختلف
مراحل وفي قطاعات العام والخاص وانتهاء بالقضاء على اسباب
الامتيازات الطائفية .

خامسا - الالتزام بأصول معركة المصير العربي ، ولا سيما
على الساحة الفلسطينية ، تأسيسا على افتتاح راسخ بان لبنان
مستهدف باطماع العدوانية الصهيونية الامبريالية ، وقد ناله منها
الكثير من الضحايا والخسائر ، فهو ، من هنا ، محكوم ، وطنيا
وقوميا ، بالتلاحم مع جميع القوى العربية ، وفي طليعتها الثورة
الفلسطينية ، الحنسة في وجه هذه العدوانية ووجه حاضرها
الامبريالية الاميركية .

سادسا - دعوة القوى الوطنية والديمقراطية والتقدمية لوضع
صيغة متقدمة للعمل الوطني والاجتماعي والثقافي بما يكفل تحقيق
المطالب الشعبية وطموحات القوى الحية في المجتمع اللبناني .

الهيات المهتمة والموقعة على الوثيقة

اتحاد الكتاب اللبنانيين - النادي الثقافي العربي - المجلس
الثقافي للبنان الشمالي - مجلس الشوف الثقافي الاجتماعي -
جمعية متخرجي جامعة بيروت العربية - جمعية متخرجي المقاصد ،
بيروت - جمعية متخرجي المقاصد ، صيدا - الاتحاد الوطني لطلاب
الجامعة اللبنانية - اتحاد طلاب جامعة بيروت العربية - جمعية
المقاصد ، صيدا - ندوة اندراستات الانثائية - جمعية الفنانين
اللبنانيين للرسم والنحت - دار الادب والفن - المركز اللبناني
للمسرح - النادي السينمائي العربي - النادي العربي ، طرابلس -
النادي العربي ، بيروت - اتحاد الشباب الديمقراطي - نادي الشقيف،
النبطية - اتحاد اندية الجنوب - الحقوقيون الديمقراطيون -
التجمع الوطني للمحامين اللبنانيين - لجنة الدفاع عن الحريات -
لجنة تنمية التراث الانطاكي الادبي - منتدى فضائي مرجعيون -
حاصبيا - نادي الخيام الثقافي الاجتماعي - نادي بنت جبيل الثقافي -
الرابطة الاجتماعية لشباب عين الرينة - جمعية الفسافين الثقافية -
نادي كفور العربي الاجتماعي ، قضاء البترون .

ع ع س

رسالة دمشق بكتبها : سعيد حورانية

الايدولوجيا والادب في سورية

قال محي الدين صبحي مرة - في احدى شطحاته الخفيفة الظل -
ان احدى الصحف اللبنانية ، واظن انه سمي « الحرر » ، عرضت
عليه ان يكتب (عمودا واحدا) يتناول فيه بالنقد كتاب « الايدولوجيا
والادب في سورية » اؤلفه بوعلي ياسين ونبيل سليمان مقابل مبلغ
مئتي أو ثلاثمئة ليرة (لبنانية) ولكنه رفض .. وعلق قائلا في حقد :
دعه يموت في ارضه فلا يسمع احد عنه خيرا فلا اريد له ان يشتهر
بقلمسي !

ولسنا الان بصدد تحليل قول محي الدين الديكي (نسبة الى الديك

الذي ظن انه بصياحه يطلع الشمس) ولا بصدد الاشارة الى التضخم
الكارثيكاوري للثنا عنده ، وانما نريد القول ان الكتاب ، رغم حرم
محي الدين وامثاله ، انار ضججه لا تزال انارها سدوي في سوريا
بين ردود غاضبة واخرى هادئة ، ولكن الكل مجمعون على انه
كتاب نقدي هام ، وان صدوره في هذه الفترة بالذات انار ذعرا
حقيقيا عند النقاد الذين سمحت لهم الظروف السياسية وغير
السياسية ان يتصدروا صفحات النقد طوال سنوات ، مبيعين
المفاهيم ، مشيعين امراض الذاتية والشلية والاستعداد والاعتباطية
والحنف المسبق على كل ما له صلة بالاشتراكية في عالم النقد ،
محاولين ان يشوهوا جيلا باكمله وان يبعده بشعارات ارهابية عن
اي تصور تاريخي وفهم طبقي للمجتمع العربي .

ولكن ما هو هذا الكتاب الذي انار البحيرة الراكدة ؟

مؤلفا الكتاب بو علي ياسين (اسم مستعار على الاغلب) له
دراسة اقتصادية عن القطن في سوريا (وسوف يفوز احد الابداء من
قناته في استعلاء لارتكابه هذه الجريمة) وكتاب عن الحرمان الثلاث
الجنس والدين والصراع الطبقي (عنوان غير دقيق) . اما نبيل
سليمان المؤلف الثاني فاسم معروف في الوسط الادبي برواياته الثلاث
وهي : « بنداج الطوفان » ١٩٧٠ و « السجين » ١٩٧٠ و « تلبيح
الصيف » ١٩٧٢ وبنقطة النقدية تبعض الانار الادبية في مجلة « جيش
الشعب » وجريدة « الثورة » السوريتين .

« اذا كانت الحركة الشعبية والوطنية قد نشرت ، واذا كان
المفكرون بفالبيتهم انتهازيين او غير عاميين ، والساسة تجريبيين
او مضللين .. فهل نرى الابداء في مستوى افضل ؟ هل كان هؤلاء
اقل تلامعا بوعي الجماهير من سواهم ؟ » .

من هذه الجملة التي تتصف بمهومتها يضع الكاتبان نتاج عشرين
اديبا وادبية سوريين تحت المجرر محددين اياه بفترة زمنية معينة وهي
الفترة التي تبدأ من هزيمة ه حزيران وتنتهي بحرب تشرين ، معلنين
انها دراسة نطلق من « مواقع الاشتراكية العلمية » وانهما غير
حافلين « بارضاء الكتاب والنقاد التقليديين او الرجعيين الجدد »
وانه « قد طمح الكليل ولم يعد يحق لنا السكوت على تلامبات
المثقفين » ويتناول الكتاب الذي يقع في ٣٩٠ صفحة من القطع الكبير
بعض نتاج الابداء الاتية اسماؤهم : عبدالسلام العجيلي . الفة الادلي .
غادة السمان . جورج سالم . عبدالله عبد . كوليت سهيل . مصطفى
الحلاج . هاني الراهب . وليد اخلاصي . حيدر حيدر . صدقي
اسماعيل . حسيب كيالي . زكريا تامر . علي الجندي . فارس ززور .
سعدالله ونوس . ممدوح عدوان . علي كنعان . محمد المفاوط . حنا مينه .
ونجب الانسيء الظن بثقة الكاتبين بان عملهما « عمل نادر
من نوعه » ونردها الى تحمس الشباب لا اكثر ، فمحاولة البحث عن
منهج في النقد الادبي واعتماد المنهج الماركسي قديمة قدم الحركة
الماركسية في الوطن العربي . ونجب ان نذكرهما بكتابات عمر فاخوري
وسلامة موسى وانجازات رابطة الكتاب السوريين ثم رابطة الكتاب
العرب في هذا المجال الى جانب قسم كبير من النقد العراقي ،
واخيرا وليس آخرا المنهج النقدي الواضح لحسين مروة ومحمود امين
العالم وعبدالعظيم اتيس . ومن الشباب يمكن ان نشوه بسامي خشبة
وفاروق عبدالقادر وصبري حافظ ومدرسة النقد في الطبيعة
المصرية .. الخ .

ولكن « الايدولوجيا والادب في سورية » يبقى مع ذلك « عملا
نادرا من نوعه » في سورية ، ذلك لان النقد المتخلف الزاجي الا
مسؤول الذي طقى على الحياة الادبية في سورية .. وغياب النقد
النهجي فينا وايدولوجيا جملا الحاجة الى مثل هذا الكتاب ، او الى
ما كان ينوي هذا الكتاب تحقيقه ، ضرورة ملحة .

حتى الذين انار الكتاب غضبهم العاصف سلموا جميعا بان
محاولة منهجة النقد فكرة سليمة ، وان الكاتبين لا تنقصهما النية
الطيبة ، ما عدا هاني الراهب الذي اذان نراهمها كما سئرى ، وانهما
ان اخطا في فهم تعقيدات البنى الفوقية في الماركسية - والادب والفن

واكثرها بعدا عن الميكانيكية ، واشدها تشابكا وصعوبة وتقيدا - فان منطلقاتها - بمجملا - لا تنقصها العلمية . وانهما كانا جادين تماما في الدراسة التي قنماها وان كانا قد تسفعا في التطبيق بحكم ألفهم الآلي مرة ، وبحكم الفصل الطبقي العنيف مرة أخرى (يسميه هاني الراهب المسطرية) وبحكم الاستنتاجات الميكانيكية المعمة والمسطرة التي ان صحت على الاقتصاد فانها لا تصح ، بنفس القوة ، على الفكر والادب مرة ثالثة .

ولكن هذا كلام ظالم اذا عممناه على الكتاب كله ، فدراستهما عن مصطفى الحلاج وفارس زردور وغادة السمان مثال باهر على النحام الفكر والتطبيق . ويقول علي الجندي ان الكاتبين قد عرفاه على نواح كان يجهلها في شعره ، ولا تقدم اية دراسة في الكتاب عن كشف حقيقي وجديد لبعض جوانب الشخصية المدروسة . ولذلك تبدو غير مفهومة (او مفهومة جدا) بعض هذه الحملات التي تعرض لها الكتاب والتي رفضته ككل جملة وتفصيلا .

وفد احيط الكتاب بمؤامرة صمت من قبل النقاد (الذين يعينهم الامر) واكتفوا بهجائه شفويا في المقاهي والخمارات ، ولجاوا الى حملات (دفاعية) على الادب الميسس كما كتب محمد عمران المشرف على القضايا الثقافية في جريدة « الثورة » . فقد لاحظ بحق - بعد ان عند تحفظاته على الكتاب - ان الكتاب « يطرح منهجا علميا واضحا تلغذ الادبي عندها ، وهذا المنهج يجيء في وقت تسبب النقد ، واختلال التوازن الادبي ، وخضوع عملية تقويم الادب للامزجة الشخصية ، والتحليلات الفرويدية ، والمناهج البورجوازية الاوروبية . لهذا السبب بالذات نقول ان الكتاب هام .

« الصمت الذي قابله به بعض النقاد عندها دليل آخر على اهمية الكتاب . وهو صمت مقصود ، يهدف ، فيما يهدف ، الى ابعاد شبح الوعي الايديولوجي عن النتاج الادبي الذي يروجون له . « لقد كثرت في الآونة الاخيرة - وبالضبط بعد صدور الكتاب المذكور - الحملات الادبية على تسييس الادب ، وتمطى اكثر من منتج او نافذ ليؤكد وجهة نظره في ان لا علاقة بين الادب والسياسة ، تلك هي عملية الدفاع الخاسرة عن التراكمات الادبية الكثيرة التي افرزها الفكر البورجوازي العربي عبر ربع القرن الاخير » .

ويترك محمد كامل الخطيب الى مسألة رئيسية وهي مسألة درجة الابداع الفني واهميتها - وقد طرقت هاني الراهب الى هذه المسألة ايضا في رده - فالتقدمية في النوايا وفي الموقف الايديولوجي المسبق اذا لم تصاحبه موهبة اصيلة ، لا ينتج ادبا يتسلسل شواهد المجتمع الاشتراكي .

ويضرب بلزاك الرجعي في السياسة ، والذي كان اكثر اهمية وفائدة في عكس الوضع الطبقي في المجتمع الفرنسي من غيره الذين حملوا نوايا ايديولوجية تقدمية في عصره . ويختم محمد كامل الخطيب مقالته بهذا المقطع الذي يلخص رأيه في الكتاب : « ان كتاب « في الثقافة المصرية » اتى بعد زمن قليل من الفترة التي انتقل فيها محمود امين العالم من الوجودية الى الماركسية ، ولذلك فان حماسه للموقع والفكر الجديد الذي انتقل اليه - وربما بنائير رد الفعل كذلك - اوقعه في الميكانيكية ، مع اخذ الفهم السياسي السائد انذاك بالاعتبارات التي تعددنا عنها آنفا .

اما عندما « استقر » محمود امين العالم في الماركسية فقد قدم كتابه الممتاز عن « العمار الفني في ادب نجيب محفوظ » . وهكذا يأتي كتاب « الايديولوجيا والادب في سورية » لابي علي ياسين ونبييل سليمان ، بعد انتقالهما من فكرهما السابق الى مواقع وبكر الطبقة العاملة ، وكان « بصفية حساب مع وعيها الايديولوجي والادب السابق » ولا شك انهما . وبعد ان استقرا في مواقع وفكر الطبقة العاملة فانهما سوف يكتبان كتابا تنتفي فيه الانتقادات الموجهة الى هذا الكتاب .

ومن افضل من قيم الكتاب بصورة أقرب الى الموضوعية محمد كامل الخطيب (فصاص شاب موهوب) فعقد مقارنة بين « الايديولوجيا والادب في سوريا » وبين « في الثقافة المصرية » لمحمود امين العالم وعبدالعظيم انيس الذي صدر في واسط الخمسينات وكان على حد قول الكاتب « بصفية حساب بقوم بها طليعة افقو التقدمية ممثلة فكر الطبقة العاملة مع الثقافة المصرية السائدة آنذاك (1) » .

وبعد ان يحلل محمد كامل الخطيب كتاب « في الثقافة المصرية » اخذا عليه انه وقع اسير المفهومات الادبية لتساليبية السائدة انذاك رغم الاهمية انقصوى طرح المؤلفين الذي ارسى « الاساس النقدي الاول لمنهج الواقعية الاشتراكية في الوطن العربي » يخلص الى ان « الايديولوجيا والادب في سورية » الذي اتى بعد عشرين عاما من صدور « في الثقافة المصرية » انطلق من منطلقات الكتاب الاخير ذاتها وربما ليصل لنتائج مشابهة « فهو - اولاً - يؤسس تقديرا للواقعية الاشتراكية في سورية ، ويصفي باسم فكر الطبقة العاملة الحساب مع الاب السوري السائد الآن ، وهو - ثانياً - يقع في خطأ « في الثقافة المصرية » ذاته : النظرة الميكانيكية للادب في علاقته مع الواقع ، كما ان شدة احتفاء الكتاب بالموقف الايديولوجي ، وهذا جيد ومشروع شرط الا يتجاوز حده : اي الجدل ، فينقلب الى ضده : اي الميكانيكية ، والاقتصادية تحديدا - ان هذا الموقف الايديولوجي مفصولا عن القدرة الفنية ، والتي بدونها لا يكون ادب ، اوقع الكاتبين في تقويعات وراء قد لا يوافقهما عليها قراء ينطلقون من منطلقاتها الايديولوجية نفسها » .

ومن افضل من قيم الكتاب بصورة أقرب الى الموضوعية محمد كامل الخطيب (فصاص شاب موهوب) فعقد مقارنة بين « الايديولوجيا والادب في سوريا » وبين « في الثقافة المصرية » لمحمود امين العالم وعبدالعظيم انيس الذي صدر في واسط الخمسينات وكان على حد قول الكاتب « بصفية حساب بقوم بها طليعة افقو التقدمية ممثلة فكر الطبقة العاملة مع الثقافة المصرية السائدة آنذاك (1) » .

وبعد ان يحلل محمد كامل الخطيب كتاب « في الثقافة المصرية » اخذا عليه انه وقع اسير المفهومات الادبية لتساليبية السائدة انذاك رغم الاهمية انقصوى طرح المؤلفين الذي ارسى « الاساس النقدي الاول لمنهج الواقعية الاشتراكية في الوطن العربي » يخلص الى ان « الايديولوجيا والادب في سورية » الذي اتى بعد عشرين عاما من صدور « في الثقافة المصرية » انطلق من منطلقات الكتاب الاخير ذاتها وربما ليصل لنتائج مشابهة « فهو - اولاً - يؤسس تقديرا للواقعية الاشتراكية في سورية ، ويصفي باسم فكر الطبقة العاملة الحساب مع الاب السوري السائد الآن ، وهو - ثانياً - يقع في خطأ « في الثقافة المصرية » ذاته : النظرة الميكانيكية للادب في علاقته مع الواقع ، كما ان شدة احتفاء الكتاب بالموقف الايديولوجي ، وهذا جيد ومشروع شرط الا يتجاوز حده : اي الجدل ، فينقلب الى ضده : اي الميكانيكية ، والاقتصادية تحديدا - ان هذا الموقف الايديولوجي مفصولا عن القدرة الفنية ، والتي بدونها لا يكون ادب ، اوقع الكاتبين في تقويعات وراء قد لا يوافقهما عليها قراء ينطلقون من منطلقاتها الايديولوجية نفسها » .

وبعد ان يحلل محمد كامل الخطيب كتاب « في الثقافة المصرية » اخذا عليه انه وقع اسير المفهومات الادبية لتساليبية السائدة انذاك رغم الاهمية انقصوى طرح المؤلفين الذي ارسى « الاساس النقدي الاول لمنهج الواقعية الاشتراكية في الوطن العربي » يخلص الى ان « الايديولوجيا والادب في سورية » الذي اتى بعد عشرين عاما من صدور « في الثقافة المصرية » انطلق من منطلقات الكتاب الاخير ذاتها وربما ليصل لنتائج مشابهة « فهو - اولاً - يؤسس تقديرا للواقعية الاشتراكية في سورية ، ويصفي باسم فكر الطبقة العاملة الحساب مع الاب السوري السائد الآن ، وهو - ثانياً - يقع في خطأ « في الثقافة المصرية » ذاته : النظرة الميكانيكية للادب في علاقته مع الواقع ، كما ان شدة احتفاء الكتاب بالموقف الايديولوجي ، وهذا جيد ومشروع شرط الا يتجاوز حده : اي الجدل ، فينقلب الى ضده : اي الميكانيكية ، والاقتصادية تحديدا - ان هذا الموقف الايديولوجي مفصولا عن القدرة الفنية ، والتي بدونها لا يكون ادب ، اوقع الكاتبين في تقويعات وراء قد لا يوافقهما عليها قراء ينطلقون من منطلقاتها الايديولوجية نفسها » .

(1) بعنوان : « عندما تخلو الايديولوجيا والادب من الايديولوجيا

المؤلفات بحال) والزمان قد اى على « حفلة سمر » « ماذا بقي الان من حفلة سمر ؟ فقط ذلك الروح والبيانات الشقيرية . انها لم نصف وعياً جديداً لاجد ، ولا زاد في ادراك اي عامل للوضع الطبقي والسياسي الشاذ » « اما الشنائم الموجهة للحكومات والقادة فهي بضاعة كاسدة او ركوب موجه . واما انفضح والعربة والوعي والجرأة وغيرها مما يكيه المؤلفان للمسرحي ، فقد نأكد انها ليست امورا باقية !! » .

وبعد هذا الحكم الذي يوحى بان هاني قد استفتى كل من شاهد المسرحية على طريقته معهد (غالوب) وتأكد انها لم نصف وعياً لاجد ، اسند الى حنا مينه ليقرر انه اهدر القيم النضالية لحساب القيم المسيحية في « الثلج يأتي من النافذة » وان فكر البورجوازية الصغيرة هو الطابع الاساسي لروايته .

ويختم هاني مقالته بهذه النصيحة المتواضعة :

« لماذا الاهتمام بكتاب كهذا ، حافل بالفظائع النقدية والعقائدية؟ قال لي محي الدين صبحي مرة : انا اكتب نقداً كلما اهترأ حدائي، ويبدو ان المؤلفين يؤثران المشي حافيين (لاحظ المفصلة) ينبغي الا يغيب عن بالنا ان النقد بالنسبة لهما قضية - مهما كان مستوى الرؤية والتطبيق متعشراً وراهبياً وطفلياً ، ونحن نرجو لهما - بصدق وثقة - ان يكتبوا في المستقبل باعصاب اقل انفعالاً وذهن أكثر نفتحها » .

وهذا هو النقد الرهباني الذي اقترحه هاني بديلاً للنقد الارهابي ..

اما زكريا تامر فقد ازجعت ضمائنته هذه (الموضحة القديمة) من الحكمي السياسي الذي عاد الى مسرح الصحف والمجلات والكتب بعد ان غاب او غيب عنها سنوات وسنوات . فهاجم في مقال (1) جامع مانع لا يتجاوز عموداً واحداً كل من يعنى بالجانب السياسي من الادب ، وكل من يتطرق في ادبه الى اية مشكلة من مشكلات الوطن والعالم - والكون ، منهما جميعاً بانعدام الموهبة وبالسطحية والارهاب « اما الادباء الذين يكتبون مخلصين لبيئتهم الاخلاص الفني البعيد عن الشنج والصرخ الحماسي فهم الايتام على مائدة اللثام » .

ويستطرد التيمم مستعرضاً واقع الادب والفكر في بلادنا فيقول في فقرة رازماً كعادته « الابديولوجيا والادب في سوريا » :

« هذا الواقع المر الهزلي يرجع وجوده الى اسباب عديدة ، منها ظهور فئة تزعم انها وحدها الواعية الشريفة والتي تمتلك الفكر العلمي الموضوعي ، فتنتفض باسم الواقع ومشكلاته على الآثار الادبية الجيدة واصحابها بالتصنيف والتقييم شرسة شراسة جزار بفضل احتساء الدماء على الفودكا ، مظلمة يمنة ويسرة احكامها غير القابلة للاستئناف او التمييز ، فهذا في رأينا اديب رجعي لان كتاباته تخلو من التنديد بالاستعمار ، وذاك اديب خان الطبقة الكادحة (انهمه المؤلفان بذلك) لانه في نتاجه نحدث عن الموسيقى والقطط والورد ، وكان الموسقي والقطط والورد اعضاء في المخبرات المركزية . وادب ثالث غير مرتبط بالواقع لان اشعاره لم تتطرق الى تمجيد العمل الفدائي .. الخ .»

ثم يعدد اصناف هؤلاء الادباء والنقاد ليصفي الحساب مع همومه الشخصية وليخلص الى دمفهم جميعاً بانهم اصفار :

« ومن المضحك ان هذه النظرة السطحية الى الادب اذا طبقت على النتاج الادبي المزعوم لتلك الفئة ، فلن يظفر افرادها الا بثلاثة اصفار موضوعية ، اما القراء فهم بالتاكيد سينبرعون بسخاء بشن الكفسان » .

زكريا تامر كاتب موهوب بعرف النظر عما يمثله ، ولذلك ليس من حقه ، امام نفسه على الاقل ، ان يجعل من نفسه بكتابات فيها مثل هذه الضحالة الفكرية والتي تخلفت تخلف رداحات شارع محمد علي عن الرقص الموزون منذ عشرين سنة على الاقل ..

دمشق

طوباوية حذرية) ومصابان « بالولادة اليسارية » و « العمى العقائدي الذي تغفل في ثلاثمائة وتسعين صفحة » و « بالفظة العجيبة وغير العجيبة » وهما « فد شطبا على مجمل الحياة العربية فكراً وسياسة ونضالاً » ومتظلفهما « قبلي من مسلمات مسطرية » ، وفد خرجاً « في حملة صليبية » « ليؤكدا - وليس يكتشفا - خيانة الادباء وانتهازيتهم وتشوشهم . انها محكمة تفتيش ، والمسلمة الرئيسية فيها هي : اما ان تكون مجرماً ، واما ان تكون مجرماً . ليس ثمة خيار ثالث » .

واخيراً « من هما في عالم السياسة او الادب او النضال كي يلبسا بذلات الشرطة وبحاسبا الناس في ضمائرهم وبنجارهم ؟ » و « مكارني كان شيخاً في الكونغرس الامريكي مخولاً باسم سلطة معينة في ان يفعل ما فعل . اي مرجع طبقي منح السيدين بو علي - سليمان حرية التكلم بهذه الفجاجة والقضائية ؟ » .

اتجه هاني الراهب في رده كصاروخ متعدد الرؤوس ، تفحص ماركسية المؤلفين مطولاً ليخلص الى انها لم يفهما من الماركسية الا نصوصاً سكونية جامدة واني بشواهد فريبة الشبه بما اورده محمد كامل الخطيب . ثم اعطى المؤلفين درساً في فهم الماركسية بصورة خلافة ومتطورة ! فماركس نفسه قال عن نفسه بانسه ليس ماركسياً (تعبير ماركسي وجد بعد موت ماركس) واعتبر البيان الشيوعي الفلاحين حشد عطالة يعيش من البورجوازية ويلصق بها (نعبنا طوبلا عن العبارة المذكورة او بمعناها فلم نلق ذلك في أية طبعة معترف عليها طبعاً ، ذلك ان هذه المقولة ضد اسط مبادئ الاقتصاد الماركسي) ، وأكدت العقود الثلاثة الاخيرة كذلك ان الشعور القومي في العالم الثالث يمكن ان يكون طافة نورية وليس دائماً رجيمياً (خلط هاني بين الشعور القومي وبين الفكر القومي ، لا بأس ، فالماركسية مشاعية بدائية لاجتهاد من يشاء ، ثم حتى هذا الاخير لا يمكن ان يكون دائماً رجيمياً حسب اقدم النصوص الماركسية ، وتلعب بعض درجاته دوراً تقدمياً ضد الاستعمار في بعض الظروف ، وفي درجات اخرى يصل الى الفاشية) .

بعد هذا الدرس البليغ في الفهم التطوري للماركسية يدافع هاني عن الستة عشر اديباً (اديباً) في الكتاب متجاوزاً ، يهدوء اعصاب هذه المرة ، كل الخلافات الفكرية والابديولوجية التي نفرق بينه وبين بعضهم ، مقدماً تنازلات يرفض هو بالذات ، في ظروف موضوعية اخرى ، ان يقدمها لهم بآباء وشمم ، فالقضية هنا تكتيك ، ولا علاقة لها بالاستراتيجية العقائدية ما دام الهدف المشترك هو سحق العدو الان . ويقف طوبلا عند « فهد » حيدر حيدر ، و « شرخ في تاريخ طويل » لهاني الراهب نفسه ليقدم عنهما دفاعاً حياً وعلى جانب كبير من الصحة كانت تقطعه بعض الطلقات التي اوردنا نتفا منها ، ثم ينزلق في سورة غضبة ليطعن بخنجره الاربعة المحظوظين الذين دخلوا جنة الكتاب والذين اعتبرهم المؤلفان « شواهد المجتمع الاشتراكي الجديد » وهم عبدالعبد وسعد الله ونوس وحنا مينه وفارس زرزور . نسي هاني كل ما يجهمه معهم من فكر ومن نضال ومن رفاقة طريق على الاقل ، فهم مدانون لان الكتاب لا يدينهم ، وها هو يلخص رأيه فيهم بهذا اليجاز المعجز : « وبين الاربعة الذين دخلوا الجنة واحداً يتلمس طريقه ، وآخر احترف ادب البورصة ، وثالث ارتد الى مسيحية زورباوية ، ورابع ظل متمسكاً بتلابيب طبقته ؟! » .

من سوء الحظ ، من سوء الحظ فضلاً ان العدد لم يبلخ حد العشرة البشرين بالجنة ، وهكذا خسرنا اوجز تقييم في التاريخ منذ الوصايا التوراتية العشر المشهورة !

ويرتد الراهب ليشرح اثنتين هما سعد الله ونوس وحنا مينه شاملاً بمفوه الآخرين ربما لانهما ليسا بقدر المقام - فنقد آراء المؤلفين فيهما ... ومن الطرائف المناوئة في التحليل ان هاني الراهب خلع مسوحة ليلبس المسوح الذي خلعه عليهما في المقال ولعب كاحد شخصيات بيرانديللو الدور ذاته ، فسعد الله يحتقر الشعب في انتاجه (توحى « الفيل يا ملك الزمان » بعض ذلك ولكن الحكم لا يسحب على بقية